رأي القدس

هنية ودور «الطرطور»

■ عندما يعلن السيد اسماعيل هنية رئيس وزراء السلطة الفلسطينية انه ليس «طرطورا» فان هذا يعني ان كيله قد بدأ يطفح، وان صبره على تجاوزات الرئيس عباس بدأ ينفد، وان الصدام بات وشيكاً.

تصريحات السيد هنية هذه جاءت ردا على المراسم التي اصدرها الرئيس عباس في الايام الاخيرة بتحريض من قبل بعض المحيطين الذين يرفضون التسليم بالهزيمة، ومغادرة مركب السلطة الفخم، خاصة تلك المتعلقة بنقل السيطرة على المعابر الى مكتب الرئاسة، وتعيين قائد جديد للأمن العام. وهي مراسم تنتزع صلاحيات رئيس الوزراء التي ينص عليها القانون الاساسي للحكم.

ويبدو ان صرخة الاحتجاج التي اطلقها السيد هنية وصلت بسرعة غير متوقعة الى الرئيس عباس، وبدأ الأخير يدرك مدى جديتها وخطورتها في الوقت نفسه، فقد ذكر مسؤولون في مكتبه انه عرض تسليم السيطرة على حدود قطاع غزة مع مصر لرئاسة الوزراء.

والعرض في ظاهره يبدو بريئاً، ولكنه قد لا يكون ذلك في باطنه، فالمراقبون الاوروبيون الذين يشرفون على معبر رفح هددوا بانهاء مهمتهم والانسحاب فورا من المعبر اذا تسلمت حكومة «حماس» مهامها في السيطرة عليه، الأمر الذي قد يؤدي الى اغلاقه بصورة نهائية وتحميل الحكومة مسؤولية هذا الاغلاق وخنق الشعب الفلسطيني.

حكومة السيد هنية تواجه ازمات متلاحقة، والنوايا تجاهها، سواء من قبل مكتب الرئاسة وبقايا السلطة، لا تبدو سليمة على الاطلاق، والشيء نفسه يقال ايضا عن دول الجوار والدول المانحة، اوروبية كانت ام امريكية.

فمن الواضح ان خطط افشال حكومة «حماس» تأخذ اكثر من منحى، فبعد الهجمات التي استهدفت مقارها في رام الله وخان يونس في قطاع غزة من قبل بعض المحسوبين على السلطة السابقة، ها هي المساعدات تتوقف بالكامل، وتتأخر الرواتب عن مئة واربعين الف موظف، والهدف المطلوب من هذه الاجراءات هو حدوث ثورة شعبية احتجاجية تطيح بالحكومة المنتخبة، وتهيئ الاجواء لانتخابات جديدة يفوز فيها بعض رموز الفساد.

واللافت ان دول الجوار، وخاصة مصر والاردن، ترفض الاعتراف بحكومة حماس المنتخبة، وتتناغم مع الموقف الامريكي والاوروبي، فوزير الخارجية المصري احمد ابو الغيط رفض لقاء الدكتور محمود الزهار وزير الخارجية اثناء زيارته الاخيرة الى القاهرة، اما الحكومة الاردنية فلم توجه حتى هذه اللحظة دعوة رسمية لاي من اعضاء الحكومة الجديدة، او رئاسة المكتب السياسي لحركة «حماس» لزيارة عاصمتها، اسوة بدول اخرى مثل ايران وروسيا وتركيا.

التطورات كلها تشير الى ان حكومة «حماس» تتجه بسرعة نحو الانهيار، ولكن مخاطر انهيارها اكبر بكثير من مخاطر بقائها في الحكم. فالبديل عن مغادرة السلطة هو العودة الى المقاومة، وانهيار الهدنة، واستئناف العمليات الاستشهادية وتكثيف اطلاق الصواريخ، وحل السلطة، فهل تريد الدول المانحة، ودول الجوار التي تسير في ركبها، والدولة العبرية التي تكثف توغلاتها واغتيالاتها هذا البديل؟

اذا كان الجواب بالايجاب فهنيئاً لهم على هذا الاختيار.

التحدي الإيراني النووي و(الحل العربي)

البديل عن قسمة عرب المشرق عربين مذهبياً ثم عنصرياً

مطاع صفدي *

■ المعركة الجديدة المفروضة على العرب ما فوق أنواع المعارك والأزمات القديمة والطارئة، والتي أمست مزمنة في معظمها، قد تبلغ ذروة دولية تتخطى في شدتها وتداعياتها التاريخ المعاصر لمسلسل الحروب الإقليمية والأهلية والعالمية على الأرض العربية. انها معركة النقلة من الأسلحة التقليدية إلى أسلحة الدمار الشامل، وهذه المرة ستكون هي المدمرة الشاملة فعلياً، وليس دعاوياً أو تسويغاً لغزو مقرر مسبقاً، كما كان شعار الاجتياح الأمريكي للعراق. ها هم صقور البنتاغون يتنافسون فيما بينهم على اجتراح المبررات التي تتيح انتهاز الفرصة الذهبية المنتظرة لجعل السلاح النووي موضع استخدام فعلي، وليس وسيلة تهديد نفسي أو دعاوى فحسب، كما كان شأنه منذ أيام الحرب الباردة. فالمتابع لأوركسترا التصريحات والتحليلات وما يسمى بالتسريبات المنهالة على وسائل الإعلام المحلية بل الدولية لا يمكنه إلا الجزم بأن ثمة اتحاداً جهنمياً بين أمريكا والحرب، وأنه لم يعد فهم الأولى أو إعطاء تفسير لسلوكها إلا بإحالتها إلى رديفها الآخر الذي هو صناعة العنف والتصعيد بأدواته وآلاته إلى أشدها هولاً وفتكاً بالإنسانية، وتنقيلها من شعب إلى آخر. لكن الساحة المفضلة لآلهة الحرب العصرين ستظل محدودة بأوطان العرب والاسلام الضعفاء، ولكن إلى متى.. فإذا ما ظهرت بعض ملامح الممانعة في تصرف هذا الشعب أو ذاك، كأنما يتبرع للجلاد بالسكين التي ستذبحه. فأمريكا هذه الأيام تعد نفسها والرأي العام الدولي، لضرب إيران بالسلاح عينه الطامحة هي عبثاً إلى امتلاكه. أي أن الجلاد قد يمنح الضحية فرصة تقديم الذريعة المسوغة لنهايتها. والمحزن حقاً أن تمعن الضحية في ابتكار رقصة الموت التي تنتظرها.

ذلك هو الرمز الأسطوري الذي أمست تنطوي عليه إشكالية الصراع (النووي)، بين أمريكا وإيران. حتى أنه لا يمكن وصفه بالصراع حقاً لكون المعادلة الاستراتيجية بينهما هي مجرد علاقة القطب المتملك كلياً من أسباب تفوقه المطلق بالقطب الذي لا يكاد يملك سوى أسباب العدوان عليه، كما يقدرها خصمه أو يدعيها بالأحرى. غير أن المسألة في قرارات الحروب الأمريكية هي أنها لا تنتظر عادة مواقف القبول أو الرفض من قبل الآخرين، أو ما يسمى بالرأي العام لدى مجتمعها أو المجتمع الدولي، وإن كان الأمر سوف يختلف قليلاً هذه المرة فيما يخص الشأن الإيراني. إذ يبدو أن الغرب بمعناه التقليدي، الأوروبي الأمريكي معاً، هو الذي يظهر تماسكه إزاء ما يعتبره خطراً قد ينال من استراتيجيته الكونية فيما يدعى بحظر الانتشار النووي، وخاصة في نطاق العالم الثالث.

وفي هذا الظرف الراهن الذي تبلغ فيه حدة المواجهة مع الاسلام ذروة غير مسبوقة، يتم تصوير إيران أنها المصدّرة الأولى لنوع ذلك الاسلام الآخر الموصوف بالسياسي، ثم بالإرهابي فقط. وخاصة أن بعض عواصم أوروبا الغربية قد تلقت قبل غيرها أولى تمارين العنف الخميني عبر تفجيرات بعض مرافقها العامة خلال عقد الثمانينات. فكيف يكون رد فعلها إذا ما نجحت طهران في اقتحام النادي النووي، وتحول (إرهابها) السري إلى إرهاب علني تشهره دولة إسلامية كبرى تحت يافطة الحق في التقنية النووية السلمية..

وماذا سيكون عليه موقف الدول الإقليمية نفسها بدءاً من المشرق العربي كله، وصولاً إلى إسرائيل المعنية الأولى كما تعتقد، بهذا التطور الحاسم الذي سينهي أسطورة التفوق العسكري باحتكارها السلاح النووي، على المحيط العربي والاسلامي مجتمعاً حولها وضدها.

اذا كانت اسرائيل غير مترددة للحظة واحدة في مساندة أية ضربة توجهها واشنطن إلى طهران، بل كانت هي المحرضة دائماً والعاملة بكل نفوذها من أجل ألا يأتي أبداً ذلك الوقت الذي تبرز فيه قوة عربية أو إسلامية تضاهيها بأية مكتسبات عسكرية تقليدية فكيف الأمر بالنووية. نقول إذا كان ذلك هو الموقف الاسرائيلي المعروف دائماً والذي يبلغ ذروته حالياً، فهل سينساق عرب الأنظمة تلقائياً مع هذه الاندفاعة الإسرائيلية الأمريكية، ودونما أي تمحيص للضار والنافع فيما هم مقبلون عليه، وبذات الطريقة التي اصطفوا فيها الى جانب الغزو الأمريكي للعراق، وساهموا كل بأسلوبه، في تحقيق واحد من أهم أهداف إسرائيل في القضاء على آخر حصن عربي في المشرق كان اسمه عراق الرشيد.

ما يطرحه التحدي الإيراني في هذه اللحظة من مسيرة الانكسار السياسي والدفاعي الذي انحدرت إليه مجمل قوة الصمود والممانعة القومية والوطنية، ليس من السهل التسرع في تحليله والحكم عليه. ما لا يناقش فيه حتى الغريب عن المنطقة، شرط التمتع بشيء من الحيادية، هو أن أحوج ما يحتاجه الوضع العربي العام، قيام رافعة ما تنشله من حكم الانهيار التام بفقدانه لبقية عوامل استقلاله وسيادة شعوبه ودوله، لكن السؤال حقاً هو فيما إذا كانت هذه الرافعة إيرانية، وأنها تتخذ شكل التحدي النووي فيما قد يفسر بكونه نازعاً الى فرض الالتزام به على جيرانه بكل وقائعه ونتائجه وتداعياته، المصنفة جميعاً تقريباً في خانة الأخطار الكيانية الكبرى، والتي سوف تضاعف من عدمية الحالة الإقليمية وسوالبها التقليدية والمستحدثة مع وقوع المحظور شبه المحتم.

لو لم يكن العراق أمسى يتعرض لغزوين أمريكي وإيراني (قوموي) معاً، لكان ثمة اتجاه عفوي لدى غالبية العرب نحو تأييد القوة الجديدة لإيران، ولكان من السهل على أهل المشرق اعتبار أن هذه القوة سوف تصطف في مكانها الطبيعي من الصراع مع إسرائيل ومقاومة عودة الاستعمار الغربي بشكله الأمريكي. لكن مصير العراق الذي تفككه المذهبية بوسيلة الاقتتال الأهلي المدعوم صراحة وعلناً بتدخل أجهزة إيران، بما يعبر عن سياسة مرسومة من أعلى مستويات الدولة والمؤسسة الدينية، هذا المصير وإلى أين هو مدفوع ومندفع بتصميم إجرامي فذ هو الذي يؤرق الضمير العربي والإسلامي وحتى الإنساني. وهو مبعث كل الانشقاقات المتمادية الراهنة والآتية ما بين ضلعي الحضارة العربية الاسلامية. لقد بلغ مخطط التفكيك المذهبي في العراق حدود تقسيم العرب عربين داخله مهدداً بتحوله الى وباء جارف يعم أقطار الخليج التي يسودها تعايش وتماثل مجتمعي وتاريخي بين سنتها وشيعتها بالرغم من تناقضات ثانوية يمكن تلافيها بالنوايا الحسنة. لكن وباء التفكيك المذهبي لن يتوقف للأسف عند حدود المحيط العربي المجاور لإيران، بل يتعداها إلى سورية ولبنان. وفي هذا القطر اللبناني خاصة حيثما كان الانقسام الطائفي بين الدينين الاسلامي والمسيحي محركاً مرضياً ومغذياً لمختلف العلل والبلايا الوطنية التي عاناها شعبه ولا يزال. وكان تاريخه الحديث والمعاصر مسرحاً مميزاً لنماذج دامية رهيبة تنتهي اليها كل المصالحات الاضطرارية والمؤقتة بين قطبيه الأكبرين. إلا أن تجاربه الرهيبة الفئوية الانقسامية تلك موشكة اليوم على نقلة نوعية أشد مفعولاً تقسيمياً وشرذمة، من مراحل التطويف الديني الى التفكيك المذهبي. فالاسلام اللبناني هو المرشح راهناً لاستقبال العدوى العراقية لينشق الى إسلامين. وكل رهان التفكيك المنظم اليوم هو في إعداد الفتن المصطنعة المفجرة للكوارث الكبرى، في ظل الوصاية الأمريكية التي تكاد تمسك بجميع الخطوط الرئيسية لإدارة الأزمة من صفحة إلى أخرى، وصولاً إلى قعر الهاوية المفتوحة لابتلاع كل الأطراف سوية، بشرط ألا يخرج منها منتصر واحد أياً كان.

إنه المصير عينه الذي ما فتئت سورية تدفعه عنها تحت شتى الشعارات الثورية. وقد دفعت البلاد كلها أثماناً باهظة لإخفاء صيغة معينة من سيطرة حكم أقلية على أكثرية، واستمراريته بمختلف آليات الطغيان المعروفة والمبتكرة الآيلة الى اعتقال المجتمع كله، وتصحير حضارته، وعزله التام عن اختيار أبسط شؤونه الحياتية، أو المساهمة في تقرير مصير المنطقة عبر كل انعطافاتها الكارثية ما يقرب من نصف قرن في ممارسة إجهاض النهضة العربية الثانية وتجريدها حتى من أضعف شروط تنميتها ودفاعاتها. فأمراض التطويف والمذهبة والعنصرة لم تكن لتنمو وتستولي على بوصلة التوجيه والقيادة لو لم تفقد النهضة أهم ثروة إنسانية تتمتع بها المجتمعات المعاصرة وهي حرياتها الأولية المدنية. هذه الحريات التي استهدفها الطغيان الفئوي باعتبارها هي عدوه المركزي.

إن التصحير النهضوي يدمر مكونات الوحدة المجتمعية ويحرمها من نسيجها الأولي المتماسك، ومن ثم يعرضها لشتى آفات التفتيت العضوي كالشجرة الخريفية التي تتساقط أوراقها وأغصانها متيبسة ميتة. وهكذا فالنسيج الوطني، بعد القومي، أمسى أرضاً مستباحة لكل غزو تفكيكي من الجار ومن العدو في وقت واحد. فلا عجب إن لم يستقبل العرب أخبار التفوق الإيراني بتفاؤل ما بل بشكوك غالبة وصريحة، إذ اعتبروه تفوقاً على إمكانياتهم بالذات، قبل أن يكون تحدياً للعدو المشترك أمريكا. وهو التحدي الذي سيلزم سكان المنطقة بنتائجه المدمرة شاؤوا أم أبوا.

ليس هناك من مخرج حقيقي لهذه الأزمة الشاملة المفروضة سوى في العودة إلى مفهوم الصفقة التي يطالب بها العرب دائماً بتجريد المنطقة من أية أنشطة، نووية غير سلمية، وشرطها الأساسي هو تخلي إسرائيل عن خزينها من السلاح الشامل الذري والكيماوي، مقابل اكتفاء إيران بالجانب السلمي من الملف النووي. إنه الأسلوب الإنساني الذي يمكن أن يترجم إليه ما يوصف بالتحدي الإيراني. وقد تنجح دبلوماسية عربية ذكية بالتوسط الفعال بعد إقناع الطرف الإيراني، وتأسيس موقف عربي إسلامي شامل يوقف التصعيد الأمريكي ويحرمه من انتهاز فرصة حرب جديدة بأسلحة التدمير الشامل، وتكون ضحيتها هذه المرة جغرافية إسلامية وعربية شاملة للمشرق كله، وإلى ما هو أبعد وأخطر.

* مفكر عربي مقيم في باريس

في ذكرى أمير الشهداء «أبو جهاد»

عباس زكي

■ ثمانية عشر عاماً على رحيل أول الرصاص أول الحجارة «أمير الشهداء» أبو جهاد تتبدل فيها الأشياء والمعايير وبسرعة قياسية، مما يؤكد القول المأثور (لكل زمان دولة ورجال) ولكل مسيرة رموز عطاء تملأ سمع وبصر العالم رغم الرحيل.

هكذا رحل أبو جهاد جسداً واحتل ذاكرة ووجدان المخلصين لفلسطين والأوفياء لمسيرة الحرية والتحرير من معارفه في شتى بقاع الأرض.

فأبو جهاد من القادة العظام الذين شكلوا حالة شجاعة متقدمة في مقاومة الاحتلال اعتمد فيها سياسة التناوب من ساحة لأخرى ومن جيل لآخر حفاظاً على أن تبقى الراية مرفوعة في تأدية مهام الثورة من عملية الخلايا الفدائية الصغيرة في اطار العاصفة الى العمليات الاستشهادية والأحزمة الناسفة عام 68 في معركة الكرامة الى مجموعات الصواريخ مروراً بالهجمات العسكرية الواسعة ـ كالحمه وفرحان السعدي والأرض الطيبة.. الخ وصولا الى عملية دلال المغربي البطولية ومحاولات اقتحام وزارة الدفاع في تل أبيب، الأمر الذي فرض أبو جهاد أحد أهم المعادلات الصعبة وأبرز القيادات ذات المصداقية العالية في الكفاح والمرعبة لدولة اسرائيل. وبقناعته بالتناوب بين الساحات في حمل الراية حفاظاً على أن تبقى مرفوعة، عمل أبو جهاد بعد ضعف المقاومة واغلاق الحدود العربية في وجهها الى تثوير شعبنا تحت الاحتلال وبأسلوب انتفاضي باعتماد الأطر التنظيمية والمؤسسات والاتحادات الشعبية والمهنية والشبابية والمراكز الثقافية والمعاهد والجامعات مع التركيز على دور المرأة والشباب تحضيراً لانتفاضة كبرى بشر بها في اجتماع المجلس المركزي في 15 حزيران (يونيو) 1987 في بغداد، أي قبل اندلاع الانتفاضة بقرابة ستة شهور عمل على مدارها ليلاً نهاراً لانتفاضة جبارة أسقطت حاجز الرعب مع العدو وغزت أدمغة العالم بندائها الواعي، وطرحها العلمي وابراز الوجه الحضاري الفلسطيني في مواجهة بشاعة الاحتلال، كرفض العقوبات الجماعية والضرائب الاضافية وتكسير العظام وكل الممارسات العدوانية للاحتلال، تلك الانتفاضة التي اتسمت بوحدة الشعب وشمولية النضال واعمال الوعي الجماعي الفلسطيني في اطار القيادة الموحدة «قاوم» تلك القيادة التي مثلت قمة الالتزام الفلسطيني وعكست كل حالات التكافل والتضامن والجاهزية العالية لتصعيد الفعاليات النضالية على نحو يجسد حلم مهندس الانتفاضة الذي قضى شهيداً وهو يكتب في النداء الموجه الى المنتفضين في الأرض المحتلة استمروا في الهجوم.

تلك الانتفاضة التي أطرت اعترافاً دولياً تمثل بمؤتمر مدريد للسلام. وباستعراض لتاريخ أبو جهاد العسكري والمثقف والانسان كمهندس لفعاليات النضال، الذي يمضي قدماً ودوماً الى الأمام حيث التناقض الأول بالنسبة له مع الاحتلال والتسامح التواضع مع رفاق المسيرة وأبناء شعب فلسطين، الأمر الذي فرض شهيدنا الكبير أمير الشهداء أبو جهاد أحد أهم وأبرز القيادات ذات المصداقية العالية في الكفاح والمرعبة لدولة اسرائيل.

وحيث أن الله يكرم من يحب وقت الرحيل استذكر أن الرئيس علي عبد الله صالح قد أرسل يطلبني في تمام الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل حيث وصلت يوم الجمعة 15/4/1988 الى تعز في سعي لوحدة شطري اليمن وفقاً لشعار الرئيس الراحل أبو عمار فلسطين هي الشطر الثالث ويجب أن تكون الثاني من اليمن تأكيداً على عمق العلاقة وتميزها بين اليمن وفلسطين، وقداسة وحميمة العلاقة بين الشعبين وكنت بالمصادفة أقيم في جناح بدار الضيافة كان يسكنه الأخ أبو جهاد اثناء استضافته في تعز، وكان حديث مسؤولي الضيافة وكبار الضباط حول أبو جهاد القائد العربي الذي يحظى بالاحترام وعندما وصلت الى الأخ الرئيس علي عبدالله صالح حاول أن يبلغني الخبر بالتقسيط ولكن بمسحة بادية على وجهه من الحزن والألم وكان جوابي أن أبو جهاد مشروع شهادة ولكن من هول الصدمة كدت أفقد الوعي فأمر باعادتي الى مقر اقامتي، واعتقد أن من سمع الخبر لم يغمض له جفن، وما أن وصل صباح السبت الباكر وفد جنوب اليمن برئاسة رئيس مجلس الوزراء حيدر أبو بكر العطاس حسب البرنامج المقرر تحول اللقاء الأول الى حفل تكريمي للشهيد الراحل أبو جهاد وأعلن الوفدان تنازلهما عن أية شروط مع توفر ارادة الوصول الى وحدة الشطرين تجسيداً لحلم وطموح الشعب اليمني وتقديراً للدور الفلسطيني المرحب به من كلا الشطرين لتحقيق هذا الانجاز الوحدوي في ظرف عربي يتسم بالقسمة والتشرذم وغادرت تعز مطمئناً صباح السبت الى تونس محملاً من الرئيس علي عبدالله صالح بالترحيب باحتضان اليمن لجسده الطاهر والتكفل بنقل كل الراغبين في وداعه واستضافتهم اذا ما تقرر تشييعه المؤقت في اليمن في انتظار نقل رفاته الى القدس الشريف بعد التحرير، وهذا مؤشر على حجم بعده القومي كمناضل بارز تجاوز حدود فلسطين وهنا تكمن المفاجأة في موافقة الرئيس الراحل حافظ الأسد على احتضانه في مقبرة الشهداء في دمشق، رغم الصراع والقطيعة بين القيادتين السورية والفلسطينية، ورغم ذلك خيم الذهول على المراقبين وأعداء العلاقة السورية الفلسطينية حينما شارك ما يقارب المليون في وداعه الأخير وعلى عربة مدفع سوري كمناضل قومي بارز ألغى الحدود والجمود وأعاد للأذهان سورية القلعة الثورية الحصينة ومولد فتح وقاعدة انطلاقتها الأولى.

هذا النموذج من القادة هدية الله الى فلسطين والعرب المؤمنين بارادة التحرير وكل قوى التحرر والسلام. ويحضرني أن الأمم المتحدة أدانت جريمة اغتيال «أبو جهاد» ونادراً ما يكون ذلك دلالة على أهمية وموقع هذا الانسان المناضل الكبير وعلى أكثر من صعيد، فما أحوجنا الى أبو جهاد هذه الأيام لاستنهاض حركة فتح التي تعكف على اعادة البناء بما يتلاءم والاستعداد لشعاره الخالد استمروا في الهجوم.

* عضو اللجنة المركزية لحركة فتح

هل اصبح الجعفري المشكلة الوحيدة في العراق؟

هيفاء زنكنة *

■ ما ان انتهت مهزلة الانتخابات والاصبع البنفسجي، التي رسمها السيد الامريكي بول بريمر، وفق الجدول الزمني الخاص بسياسة الاحتلال الانكلو ـ امريكية، بدءا من مجلس الحكم وتسليم السيادة والحكومات المؤقتة ومرورا بكتابة الدستور، حتى نصب ابناء الاحتلال بطائفيتهم وعرقيتهم، آلة جديدة من اجل ضخ الدم في شرايين الاحتلال المتيبسة ونفخ الحياة فيها. اطلقوا على الآلة اسم الجعفري. فصار الجعفري واحدا من محطات الاحتلال المختلفة لتحويل انظار الشعب عن المشاكل الحقيقية وأسبابها وأولها الاحتلال. فجأة، مثلما كانت الانتخابات وكتابة الدستور في الشهور الماضية محطات لتمويه الاحتلال، صار الجعفري وترشيحه او عدم ترشيحه كرئيس للوزراء، هو القبلة التي يتوجه اليها كل الساسة المنخرطين في عملية الاحتلال السياسية، مكبرين بكرة وأصيلا. صار الجعفري هو المشكلة الوحيدة في العراق. تلاشت مشاكل الناس. تبخرت أزمة قلة الامان وانقطاع الكهرباء وتلوث الهواء والماء. انطمرت مياه المجاري الفائضة حتى داخل البيوت ورائحة الشوارع النتنة. طهرت قوات الاحتلال الاراضي من بقايا القنابل العنقودية وغسلت التربة مما علق بها من آلاف الاطنان من اليورانيوم المنضب. شفى كل المصابين بامراض السرطان وانتهت امراض سوء التغذية. توقفت عمليات الاختطاف وقتل العلماء والاكاديميين والاطباء. لم تعد القوات الامريكية تقصف البيوت بمن فيها من عوائل. تمت تبرئة الجندي الامريكي القاتل للعراقيين عند نقاط التفتيش، المداهم لحرمة البيوت والمدارس والجوامع. نسي الجندي البريطاني وهو يضرب الفتية العراقيين ركلا حتى الموت. انمحت صور التعذيب والاهانة في السجون والمعسكرات. تبخرت انباء الفساد كما تبخرت مليارات الدولارات سرقة ونهبا. طويت التماسات السياسيين بابقاء قوات الاحتلال لحماية وجودهم. باتت اولويات الصحة ولقمة العيش والسيادة والاستقلال والحفاظ على التاريخ والثقافة والحضارة والهوية مسائل ثانوية في ظل مشكلة مختلقة تدعى الجعفري. صار عدد القتلى المتزايد مثل ضحايا الوباء، يوميا، لايستحق الذكر مقارنة بالنزاع على منصب الجعفري. وصار الاعلان عن اجتماع سيعقد بعد ايام او اسابيع لمناقشة بقاء الجعفري او مغادرته خبرا يتلفع به كل سياسي الاحتلال ويربطون به كل القرارات.

فصرنا نصحو صباحا ونمسي مساء على صورة الجعفري او من يتحدث، يمدح، يعارض، ينبذ، يستغرب، ينتقد، يعادي، او يثني على الجعفري. فها هو رئيس المجلس الاسلامي الاعلى للثورة الاسلامية في العراق عبد العزيز الحكيم يتبوأ منصة الخبر الاول صوتا وصورة لانه فشل في التوصل الى صفقة تنهي ازمة المرشح الجعفري ليستبدله بعادل عبد المهدي، بدون ان يذكر لنا الميزات الخاصة التي حباها على عبد المهدي ولايتمتع بها الجعفري. وها هو رئيس الجمعية الوطنية الباججي يطل علينا، من على منصة في الزاوية الخضراء، داعيا الجمعية الى عقد جلسة للتداول بشأن الجعفري. بينما اختار اياد السامرائي القيادي في الحزب الاسلامي ان يفاجأ الناس، فأعلن عن ترشيحه احد اعضاء الحزب لرئاسة الجمهورية. مما استوجب بالضرورة ان يقوم متحدث من احد الحزبين الكرديين بالرد عليه. ولن تكتمل الصورة الا بعد ان يرش المتحدث، أيا كانت قوميته او طائفته، على نفسه عطور الوطنية على غرار مفردات الوحدة الوطنية والتوافق الوطني والاستحقاقات الانتخابية الوطنية فضلا عن الشفافية والخطوط الحمراء ولجان النزاهة. فانطلق اياد علاوي، مستخدم المخابرات البريطانية باعتزاز، المتظاهر بفقدان الذاكرة فيما يخص دوره في عملية الاحتلال وترويج السياسة الانكلو ـ امريكية، المشرف على اول عملية ارهابية قامت بها قوات الاحتلال بموافقة الحكومة العراقية المؤقتة بعد تسلمها ورقة السيادة من بول بريمر أي محاصرة وقصف مدينة الفلوجة وما تلاها من قصف للنجف والكوفة ومدينة الصدر، متحدثا عن انواع الارهاب. قائلا: «فالارهاب الجديد يختلف عن الارهاب الأول المتمثل بالارهاب التكفيري والصدامي فهو إرهاب فكري وسياسي وطائفي في العراق وهو إرهاب متبادل. وان خيار تشكيل حكومة انقاذ وطني قد يكون الحل لانقاذ البلاد».

وقد استشرت اعراض الجعفري، كعقدة ومشكلة، لتصيب بالاضافة الى احزاب الائتلاف والعراقية والاسلامي والوفاق والكردستاني بدولتيه، ادراة الاحتلال من جورج بوش وكوندوليزا رايس وجاك سترو الى خليل زاد وكل من هب ودب من قادة الاحتلال العسكريين ومعهم، بالطبع، قادة الدولة الصهيونية.

فهل المشكلة التي تعيق حياة الناس وتقتل المئات يوميا وبابشع الصور، هي شخص الجعفري حقا؟ واذا كان الجواب نعم، فما هو اختلاف الجعفري عن الحكيم وعادل عبد المهدي وعلاوي والطالباني والجلبي وموسى؟ أليسوا، جميعا، وبدرجات وظيفية مختلفة وبمخصصات ومنح متغايرة، من مستخدمي الدول الاجنبية واجهزة استخباراتها، من الامريكية والبريطانية الى الفرنسية والايرانية وحسب تصريحاتهم الفخورة بتلك الاجهزة والدول في فترات زمنية مختلفة؟

وهل بامكان اي منهم، ليثبت عكس ذلك، ان يبين لنا وجود اختلاف حقيقي، فعلي، بينه وبين البقية على مستوى الممارسة اليومية والانجازات والبرنامج السياسي الوطني والتخطيط المستقبلي للعراق كله وليس لطائفة او قومية معينة، والحرص على مطالبة قوات الاحتلال بالانسحاب الفوري، ومطالبتها بالتعويضات عما الحقته بابناء الشعب من اضرار بشرية ومادية، والغاء الديون المترتبة على بيعها الاسلحة للنظام السابق، والمطالبة بمحاكمة المسؤولين عن الجرائم التي ارتكبت بحق المواطنين في سنوات الاحتلال؟ لا اعتقد ذلك. ان كل ما قاموا به جميعا، على مدى السنوات الثلاث الاخيرة، متشابه في مضمونه ولم يختلف كثيرا عند تطبيقه. فالترحيب بقوات الاحتلال والمطالبة بتمديد بقائها واحد حتى وصل الامر بالرئيس الطالباني، ولعلها روح النكتة المتوفرة لديه، حد نسيان لعبة التحرير حين صرح اخيرا وبحضور السفير الامريكي زلماي خليل زاد قائلا بان الاحتلال جيد ومفيد، فاضطر السفير الامريكي الى تنبيهه قائلا: «انه تحرير ياسيادة الرئيس وليس احتلالا».

كما واصلت قوات الاحتلال، بوجود المذكورين اعلاه ومباركتهم ومشاركتهم الفعلية احيانا، انتهاكاتها وجرائمها ضد اهلنا. فهل هي مشكلة طائفة أوعرق أو جنس ام انها كارثة شخصيات واحزاب سياسية فاسدة على كل المستويات، اتخذت من التفرقة الطائفية والعرقية درعا يقيها غضب ابناء الشعب، ويمدها بالبقاء في مناصب ومراكز قوة، ما كانت ستحصل عليها لولا خيانتها للوطن وتبنيها لسياسة المحتل ورغبته في تفتيت العراق؟

وزاد الطين بلة، بعد اجراء عملية الانتخابات الاخيرة، ركوب بعض القوى السياسية قطار عملية الاحتلال السياسية بعد ان تم تصورت الانتخابات وكأنها الحل الوحيد الناجح في حل مشاكل العراق كلها، كما يتم الآن تصوير تنحي او ابعاد الجعفري وكأنه العصا التي ستزيل كل الجرائم والفساد والخراب والميليشيات وقياداتها. فباتت هذه القوى، تتحمل المسؤولية بدورها وان ركبت قطار الاحتلال متأخرة.

لقد اثبتت سنوات الاحتلال، بشكل قاطع، ان جوهر المشكلة هو المحتل الطامع ببلادنا وثرواتنا وباخراس الاصوات الوطنية المستقلة فيه وبانهاء اي دور عراقي في التأثير على سياسة المنطقة بشكل قد يلحق الاذى بالوجود الصهيوني. وتعاون مع المحتل، كما هو الحال في كل بلد محتل، عدد من الاحزاب والشخصيات ذات النفس العبودي، قبلت ان تكون دمى بيد المحتل قبل وبعد الاحتلال، مؤسسة كيانها على مصالحها المادية وجشعها في الحصول على السلطة. وان الجعفري، الذي لعب دوره المطلوب من قبل ادارة الاحتلال، كرئيس مؤقت للوزراء، وضمن فترة زمنية محددة، وشنف آذاننا بخطبه غير المفهومة، قد تجاوز مدة صلاحيته وسيتم استبداله بآخر وآخر، حتى يفرض الشعب العراقي ارادته في التخلص من الاحتلال، بأنواعه، من اجل الاستقلال والسيادة واقامة نظام عادل يساهم الجميع في بنائه.

* كاتبة من العراق

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 0208 (6 خطوط)
فاكس: 8902 741 0208 أو 7637 748 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 Fax: 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364